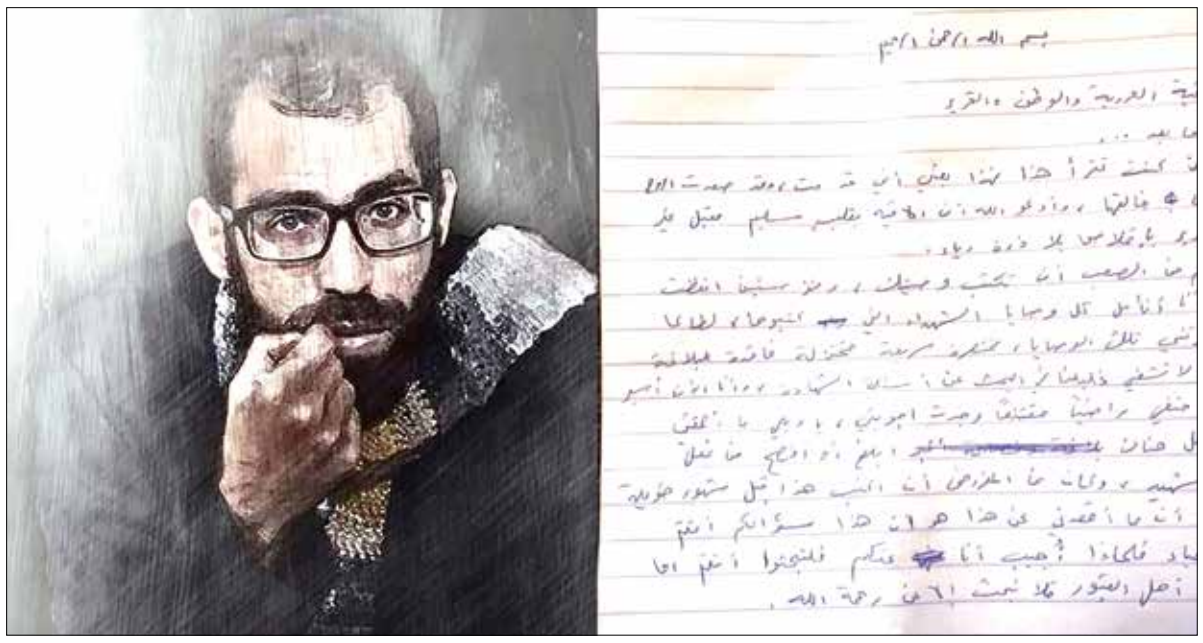

كاتب وإعلامي فلسطيني للوفاق:

من المسافة صفر..المثقف المشتبك قاوم المحتل بالقلم والبندقية

الوفاق/ خاص
عبير شمص

الشهيد باسل الأعرج مقاوم وثائر فلسطيني وبأسلوبه الخاص، شكل النموذج الشبابي الجامع بين العلم والفكر إلى جانب المقاومة، مصطلح «المثقف المشتبك» يعود إلى الشهيد الفلسطيني نفسه. هذا الشاب الذي لم يكتفِ بالتنظير الفكري والكلام، بل ترجمَ قناعاته إلى أفعال اشتباكيّة في قلب العدو الصهيوني فهو ابن البيئة الفلسطينية، التي نشأت فيها أجيال في ظل الاحتلال، وعُجنت في عقولهم، بل ومع خبزهم اليومي، ثقافة المقاومة. فمن لا يُقاوم لا يمكنه أن يحيا كمثقّف مُشتبك؛ بل لا يمكنه أن يتنفّس الحياة كما يجب أن تكون. لم يكن اشتباك الشهيد باسل الأعرج بالمقاومة المسلحة فقط، بل شاءت أقداره أن يكون اشتباكه ثقافياً وفكرياً وعسكرياً مقاوماً داخل فلسطين. اشتبك وقاوم من أجل العدالة، والمعرفة، ورفع الجهل، ولأجل الحريّة، وفي سبيل التحرير الشامل، تحرير العقول والقلوب والأجساد، والأرض، من كلّ أنواع الاحتلال العسكري والثقافي والمادي والمعنوي . وفي سياق التعرف على هذا المقاوم المثقف الذي عُرف بثقافته الواسعة التي كرسها لمقاومة الاحتلال بكل الأشكال، بالتدوينات والمقالات الداعمة للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الصهيوني، وفي ذكرى استشهاده السابعة، أجرت صحيفة الوفاق لقاء مع الكاتب والإعلامي الفلسطيني حمزة البشتاوي، وكان الحوار التالي:

«بدك تصير مثقف بدك تصير مشتبك»

حدد الشهيد باسل الأعرج المعنى بقوله «بدك تصير مثقف بدك تصير مشتبك مابدك مشتبك بلامنك وبلا ثقافتك»، هذه المقولة الشعبية المرتبطة بالمجتمع الفلسطيني تُحدد معنى المثقف المشتبك وهو الذي حمل قضيته ويواجه المحتل بثقافة، يقول الكاتب البشتاوي، ويضيف: «ارتبطت مفاهيم الشهادة والفداء بالثقافة وبالعمل العسكري المقاوم وحوّل المثقفون الفلسطينيون موضوع حمل السلاح ومواجهة الاحتلال إلى مسألة جامعة ما بين القلم والبندقية وهذا الأمر بدأ منذ تأسيس الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين الذي رفع شعار منذ البداية أننا بالدم نكتب لفلسطين أي لا يمكن الكتابة لفلسطين بدون الاستناد إلى روح وفعل وثقافة المقاومة».

ثقافة الاشتباك قولاً وفعلاً

بالنسبة لمفهوم الارتباط بين الثقافة والمقاومة جسّده الشهيد باسل الأعرج كما يشرح الإعلامي البشتاوي وذلك عبر الممارسة اليومية، فقد كان شخصاً ونصاً يسير في المدن والقرى والأحياء الفلسطينية حاملاً فكرته حاملاً هذا المفهوم ويعتمد في تنفيذه على التواصل المباشر مع الناس والاستماع إلى أرائهم وأحاديثهم وأيضاً عبر مواجهة الاحتلال والتحضير للعمليات العسكرية التي أصبحت محل تفكير وأسلوب الشباب الفلسطيني».

إخراج الشعب الفلسطيني من التجهيل والتغريب

حاول الشهيد باسل الأعرج النهوض بالشعب الفلسطيني من سياسات التغريب والتجهيل عبر التواصل مع ناشطي العمل الفلسطيني في مختلف المواجهات للوصول إلى أرضية مشتركة في مواجهة التجهيل والتغريب، وكان يسعى لإنتاج حالة مجتمعية مؤهلة لأعلى مستويات التنسيق الثوري سياسياً واجتماعياً وثقافياً»، وفق كلام الكاتب البشتاوي.

صناعة نصر تكتيكي

ويلفت الإعلامي البشتاوي بأن ثقافة الشهيد العالية وفهمه ودراسته للثورات في مختلف أنحاء العالم كانت تدفعه لطرح أسئلة متعددة، لكنه كان يركز على مسألة صناعة نصر تكتيكي في ميدان المواجهة مع الاحتلال إستناداً إلى الثوابت والمبادئ والثقافة المرتبطة بتحقيق مد ثوري استراتيجي يحقق الخلاص من هذا الاحتلال أي أن عنصر التكتيك هو راسخ بالضمير وبالثوابت والمبادئ الإيمانية الوطنية بمواجهة هذا الاحتلال».

ويوضح الكاتب البشتاوي بأن الشهيد الأعرج كان يركز في مقالاته ومدوناته على الوعي الفردي والجمعي في المجتمع الفلسطيني المقاوم وتعريف الناس بحقوقهم وواجباتهم وتحويل الغضب كله باتجاه الاحتلال، وحضرت الثقافة المشتبكة لديه في كل مقام ومقال، إذ كانت كل المواضيع تتمحور حول المقاومة من أجل تحرير فلسطين من بحرها إلى نهرها، ارتبطت جميع مقالاته ومدوناته وأحاديثه مع الناس وتنقلاته بين القرى والبلدات الفلسطينية المختلفة في إطار سعيه الدؤوب من أجل التحرير».

الاشتباك من مسافة صفر

أمّا أبرز مشاركاته الفكرية والثقافية فيقول عنها الكاتب والإعلامي حمزة البشتاوي: «الشهيد باسل الأعرج هو صاحب مصطلح المسافة صفر في مواجهة الاحتلال الصهيوني وهذه المواجهة تقوم بها المقاومة الآن في قطاع غزة بمواجهة العدوان الصهيوني، وكانت جهوده الفكرية والثقافية مرتبطة بالنضال رفضاً لاقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه قتلاً وتهجيراً وأبرز ما في ثقافته النظرية كان الجانب العملي المقاوم في الميدان والآن في كل ميادين المواجهة مع الاحتلال ما زال الشهيد باسل الأعرج حاضراً من خلال فكره وثقافته وأيضا عبر إسهاماته العسكرية التي رأيناها في أكثر من مكان وعملية عسكرية في الضفة الغربية».

رد الرصاص بالرصاص

امتلك الشهيد باسل الأعرج العديد من الميزات والخصائص وكان أهمها الانتقال من النظرية إلى التطبيق وارتباط السيف بالقلم ورد الرصاص بالرصاص وربط حب الوطن بالاشتباك اليومي مع الاحتلال»، وفق الإعلامي البشتاوي.

ويتابع الإعلامي البشتاوي كلامه بالحديث عن أبرز أساليب العمل العسكري للشهيد ضد الاحتلال الصهيوني والذي نراه في عملية أُطلق عليها «زقاق الموت» التي نفذها ثلاثة مقاومين وأسفرت عن مقتل أربعة عشر صهيونياً بينهم قائد لواء واستخدمت المقاومة فيها أسلوب التخفي والمناورة والتوقف ثم استئناف القتال مجدداً، بما يوقع الخسائر المادية والبشرية في صفوف الاحتلال، كان يركز على دور المقاتل وأسلوبه المرتبط بالأرض والذي يفهم الأرض ويستطيع التحرك فيها ويناور فيها بعيداً عن أعين الاحتلال ثم ينقض عليهم بشكلٍ مفاجئ، كانت أساليبه صراحةً مرتبطة بطبيعة الأرض وأيضاً بروح الفداء والتضحية لدى الشباب الفلسطيني».

بوصلة الصراع مع العدو الصهيوني

كان الشهيد باسل الأعرج يعتبر أي صراع داخلي هو صراع بين الحق والباطل، وفق الكاتب البشتاوي، والحق كل الحق في تصويب بوصلة الرصاص باتجاه العدو الصهيوني وإذا كانت الفصائل الفلسطينية المقاومة على المستوى السياسي عاجزة عن تحقيق الوحدة، فمن وجهة نظر باسل الأعرج ممكن تحقيقها في الميدان واستطاع تحقيق ذلك بإطروحاته وجذب الشباب من كافة الفصائل نحو العمل المقاوم كواجب يومي غير مرتبط بالجانب السياسي وروتينه المعتاد بل هو جزء من الحياة اليومية للشباب الفلسطيني».

ويشرح الإعلامي البشتاوي علاقة الشهيد بالتنظيمات الفلسطينية المختلفة، فيقول: «عرفه الجميع في الفصائل الفلسطينية وخاصةً الشريحة المثقفة من الشباب الفلسطيني المنتمي إلى مختلف الفصائل والتيارات الفلسطينية، وكان خلال تواصله معهم يُركز على تعميم أسلوب ونهج المقاومة بالفكرة والممارسة ولذلك حظي باحترام وتقدير كبيرين من قبل مختلف الفصائل الفلسطينية ومن قبل شبابها الذين كانوا ينظرون إليه نظرةً ايجابية تحث على العمل الجهادي وعلى العمل الوطني في مواجهة الاحتلال».

فيما يتعلق باعتقاله فقد ارتبط اعتقال الشهيد بالتنسيق الأمني ما بين الأجهزة الأمنية الفلسطينية والاحتلال الصهيوني وذلك منعاً لحدوث المزيد من العمليات الفردية التي كانت تُبشر بانتفاضة ثالثة في مدينة القدس المحتلة والضفة الغربية ولكنه كان دائماً عبر الإضراب عن الطعام وعبر جهود متعددة كان يخرج من سجون السلطة ليقاوم ويستمر بالمقاومة حتى الاستشهاد»، وفق الكاتب البشتاوي.

تموت الأجساد ولا تموت الفكرة

أمّا حول تأثير استشهاده على استكمال مشروعه، فيقول الإعلامي البشتاوي: «برأيي نعود إلى ما قاله الشهيد غسان كنفاني "تموت الأجساد ولا تموت الفكرة" ، وهكذا الشهيد باسل استشهد وبقيت أفكاره ومشروعه حيّة في وجدان الشباب الفلسطيني المشتبك مع الاحتلال وهذه السيرة والمسيرة للشهيد باسل الأعرج سوف تبقى مستمرة على امتداد الأراضي الفلسطينية من نهرها إلى بحرها».

ويختم الإعلامي البشتاوي حديثه بالقول: «أعتقد أن شخصية الشهيد هي شخصية باقية وما زلنا نراها في الصواريخ التي تطلقها المقاومة في غزة باتجاه الاحتلال ومكتوب عليها الباسل لم يضل الطريق، وبذلك تحول الشهيد الأعرج إلى قدوة للشباب الفلسطيني المقاوم وخاصةً في مدينة القدس المحتلة والضفة الغربية وقطاع غزة».

الشهيد صاحب مصطلح المسافة صفر في مواجهة الاحتلال الصهيوني وهذه المواجهة تقوم بها المقاومة الآن في قطاع غزة

● سيرة شهيد

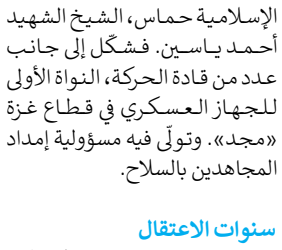

الشهيد إبراهيم المقادمة .. من أوائل مؤسسي الجهاز العسكري لحماس

الوفاق/ وكالات - ستظل القدس دومًا مركزًا للصراع الكوني وليس في القدس مكان للضعفاء»؛ كلمات قالها يومًا الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة، الذي يعد من أوائل مؤسسي الجهاز العسكري لحركة المقاومة الإسلامية «حماس»، ومن جنرالات العمل العسكري قبل أن ينتقل للعمل السياسي والدعوي.

المولد والدراسة

ولد الدكتور الشهيد إبراهيم المقادمة عام ١٩٥٠، من عائلة تعود جذورها الى مدينة «بيت دراس» في الداخل الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨. سكن في قطاع غزّة، ثمّ انتقل الى مصر لدراسة طب الأسنان. عاد الى غزّة بعد تخرجّه ليكون من بين المقربين من مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس، الشيخ الشهيد أحمد ياسين. فشكّل إلى جانب عدد من قادة الحركة، النواة الأولى للجهاز العسكري في قطاع غزة «مجد». وتولّى فيه مسؤولية إمداد المجاهدين بالسلاح.

سنوات الاعتقال

على هذه الخلفية، اعتقل الاحتلال الصهيوني القائد مقادمة في العام ١٩٨٤، وحكم عليه بالسجن ٨ سنوات. ثمّ عام ١٩٩٦ اعتقلته السلطة الفلسطينية بتهمة تأسيس جهاز عسكري سري في غزة. قبل فترة اعتقاله، تعرّضت كلّ قيادات حركة حماس لحملة اعتقالات، تبعها إبعادهم الى مرج الزهور في لبنان أواخر العام ١٩٩٢، فتوّلى القائد المقادمة خلال هذه الفترة مسؤولية قيادة الجهاز العسكري. أمنيًا، أولى القائد المقادمة اهتمامًا كبيرًا بالاحتياطيات الأمنية. فاستخدم أساليب مختلفة في التنكر والتمويه مثل تغيير الملابس والسيارات التي كان يستقلها وكذلك تغيير الطرق التي يسلكها، حتى عُرف عنه أنه كان يقوم باستبدال السيارة في الرحلة الواحدة أكثر من مرة. كما كان قليل الظهور في الإعلام.

بناء الثقافة

شكّلت سنوات اعتقاله وخاصةً في سجون الاحتلال الفرصة للتفرّغ أكثر في الجانب الثقافي وبناء الكوادر الواعية بالقضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال. فأسسّ «جامعة يوسف» داخل السجن ووضع برنامجها الثقافي، وكان يلقي مع بعض رفاقه المحاضرات بشكل دوري. كذلك، ألّف عدة كتب ودراسات في الأمن، وهو داخل السجن وخارجه، منها: «معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين»، ودراسة حول الوضع السكاني في فلسطين المحتلّة تحت عنوان « الصراع السكاني في فلسطين».

الشهادة

في الثامن من شهر آذار / مارس عام ٢٠٠٣، اغتال الاحتلال القائد المقادمة من خلال إطلاق طائراته الحربية لـ ٥ صواريخ تجاه سيارته في شارع «اللبابيدي» في مدينة غزّة. وقد استشهد الى جانبه ٣ من مرافقيه وعدد من المواطنين المدنيين.

● كتب اجتماعية

كتاب «المثقف و الاشتباك».. حَمَلَ الحقيقة في وجه القوّة

يتطرّق كتاب «المثقف الاشتباك» إلى قضية ثقافية وفكرية كانت تُعدّ تقليدية إلى أمدٍ قريب؛ لكن ظهور مفهوم المثقّف المشتبك، وتجسّده في المثقّف والمقاوم الفلسطيني الشهيد باسل الأعرج قبل سنوات، أدّى إلى إحياء هذه القضية في الأوساط الفكرية والثقافية من جديد.

ومن هنا تتأتّى أهمية الكتاب، الذي هو عبارة عن حوار مُطوّل أجراه الأستاذ مراد غريبي في أوائل العام الماضي مع الباحثة في الفكر السياسي والديني، إيمان شمس الدين، وتمّ نشره على حلقات في صحيفة المثقّف. وقد أجابت فيه شمس الدين عن تساؤلات تُشكّل همّاً معرفيّاً لأغلب المهتمّين في الشأن الثقافي، والحاملين لهمّ التغيير والإصلاح (الاشتباك)؛ وبالخصوص في ظلّ الحرب الإسرائيلية الحالية على غزة، وما كشفته من ازدواجية معايير غربية فجّة، وخيانة كثير ممّن حُسِبوا على جسد الثقافة بحقّ فلسطين؛ بل بحقّ كلّ من اشتبك من المثقّفين مع غزة ومأساتها الإنسانية والحقوقية. وحول نشأة مفهوم المثقّف وتعريفاته المتعددة بين الشرق والغرب، تنقل المؤلّفة قولاً للفيلسوف الأميركي المعاصر، نعوم تشومسكي، وهو المُناهض لسياسة الإدارة الأميركية الخارجية، بأن «المثقّف هو من حَمَلَ الحقيقة في وجه القوّة»، لتربطه بمواقف الكثير من المثقّفين الغربيين والعرب، على خلفيّة الحرب الإسرائيلية الوحشية على غزة في ٨ تشرين الأول/ أكتوبر عام ٢٠٢٣، والتي أظهرت حَجْماً من التخاذل، وحَجْماً من الثقافة المُعلّبة وفق إرادة السلطات السياسية وروايتها الرسمية؛ وكلّ من حاول الخروج عن هذه الرواية تمّ تكميمه أو تحجيمه وإلغاؤه تماماً. أما مُثقّفو الفتنة والفرقة، فأولئك الذين امتطوا شعارات دينية ومذهبية، والتي ترى فلسطين بنظّاراتهم الضيّقة الغبيّة الإقصائية، وكأنّ الله خلقهم وكسر القالب؛ وهم لا يختلفون كثيراً عن الفكرة الصهيونية اليهودية المرتكزة على فكرة «شعب الله المختار»؛ وهؤلاء أشدّ خطراً على فلسطين من غيرهم، ويتبعهم السذّج البسطاء، وما أكثرهم.

أخيراً، تؤكّد المؤلّفة نقطة مهمة، وهي أن المثقّف في كلّ حالاته، وأينما يكون، في أي جغرافيا، لا بدّ له أن يشتبك مع واقعه المعاصر، ومع تاريخه وهويّته، وأن يكون اشتباكه مؤثّراً في تغيير واقعه للأفضل والأكثر عدلاً. فالمثقّف عين المجتمع الساهرة، وهو من أُسُس الفعل المقاوم بكلّ أشكاله، وهو رأس الاشتباك في ميدان المجتمع، عسكرياً، وثقافياً، وفكرياً، واجتماعياً؛ فهو خادم لهذا المجتمع وليس سيّداً عليه؛ وهو جسْر الوصل بين هموم الناس ومؤسسات السلطة؛ لكنه جسْر وصْل لا جسْر وصولي لمصالحه، بل وصْل لمصالح الناس ووضعها على سكّة العدالة والمعرفة الحقّ.